

دور الاستاذ في إصلاح المدرسة: رؤى بيداغوجية وأيديولوجية

The Role of the Professor in Reforming the School: Pedagogical and Ideological Perspectives

د. زروطعلي¹، أ. د. طيبي بغدادي²

¹جامعة يحي فارس المدينة(الجزائر)، alizerrou@gmail.com

²جامعة الاغواط (الجزائر)، b.taibi@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2024/05/29 تاريخ القبول: 2024/06/11 تاريخ النشر: 2024/06/27

الملخص:

حاولنا من خلال هذه الورقة التعرض إلى الدور الإصلاحي الذي يقوم به الأستاذ في المدرسة، باعتبار هذا الأخير العنصر الأساسي والفعال في المؤسسات التربوية، ولا يمكن لأي عملية اصلاحية أن تتم إلا من خلال اشراكه عبر كل مراحل الإصلاحات المنشودة. حيث سيتم الكشف عن الرؤى البيداغوجية والأيديولوجية التي بينهاها الأستاذ من أجل مواكبة عملية اصلاح التعليم والمدرسة.

كلمات مفتاحية: الإصلاح التربوي، البيداغوجيا، الأيديولوجيا، المدرسة، التعليم.

Abstract:

Through this paper, we tried to address the reformist role played by the teacher in school, considering the latter as the essential and

active element in educational institutions, and no reform process can be achieved without involving him through all stages of the desired reforms. Where the pedagogical and ideological visions that the teacher has built in order to keep pace with the reform of education and the school will be revealed.

Keywords: educational reform, pedagogy, ideology, school, education.

1- مقدمة:

لطالما شكّلت قضية إصلاح التعليم والمدرسة إحدى أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات على المستويين المحلي والعالمي. فعلى الرغم من الجهود المبذولة والإصلاحات التي طُبِّقت هنا وهناك، إلا أن مخرجات التعليم لا تزال دون المستوى المأمول في ظل متغيرات القرن الحادي والعشرين ومتطلبات سوق العمل.

وتكمن جذور هذه المعضلة في الطرق التقليدية والجامدة التي ما زال يُدرّس بها في معظم المدارس والتي تركز على الحفظ والاستظهار بدلاً من تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى التلاميذ. كما تتمثل التحديات في غياب الحوافز بالنسبة للأساتذة، ونقص التمويل والموارد، وغير ذلك من العراقيل والصعوبات.

لكن في ظل كل هذه المعوقات والتحديات، يبقى دور الأستاذ هو حجر الأساس في إحداث أي تغيير جذري وشامل داخل المؤسسة التربوية. إذ يعتمد نجاح أي مشروع إصلاحي في النهاية على مدى استعداد الأستاذ وقدرته ورغبته في تبني مقاربات وأساليب تدريس جديدة ومتطورة

2- الإشكالية:

تكمن إشكالية إصلاح المدرسة في كون النظام التعليمي التقليدي أصبح عاجزاً عن مواكبة متغيرات العصر ومواجهة التحديات المستقبلية. فالطرق القديمة في التدريس ما زالت سائدة، مما أدى إلى تراجع مستوى التحصيل الدراسي، وضعف المهارات الأساسية لدى الطلبة كالتفكير الناقد والإبداع واستخدام التكنولوجيا، هذا بالإضافة إلى محدودية فرص التشغيل أمام الخريجين.

وتبرز أهمية إصلاح المدرسة من كونه الحل الأمثل لسد الفجوة بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل المستقبلية. كما أن الإصلاح ضروري لبناء مدرسة حديثة ومتطورة قادرة على تخريج أجيال مبدعة ومبتكرة تستطيع قيادة مسيرة البحث العلمي والتقدم التكنولوجي الوطني دون الاتكال على الخارج.

ولتحقيق هذا الإصلاح، لا بد من إعادة النظر في البنى التحتية للتعليم، بما فيها المناهج وأساليب التدريس ودور المعلمين والامتحانات، بالإضافة إلى تبني سياسات تعليمية داعمة توفر المناخ الملائم للتغيير المأمول.

وتواجه المدرسة في وقتنا الراهن تحديات كبيرة على مستوى مخرجاتها التعليمية، إذ أنه وفقاً لتقرير اليونسكو الصادر في 2018، انخفض مستوى التحصيل الدراسي بنسبة 50% خلال العقد الماضي مقارنة بالمعدلات العالمية (اليونسكو، 2018). كما أن هناك قصوراً ملحوظاً في مهارات التفكير الناقد والإبداع لدى طلبة المرحلة الثانوية على وجه التحديد (سعادة والسرطاوي، 2020)

ويعود ذلك بالأساس إلى الأساليب التقليدية المتبعة في التدريس والتي مازالت تركز على الحفظ والاسترجاع دون تنمية الجوانب المعرفية والمهارية الأخرى لدى المتعلم (الدليمي، 2016).

ومن هنا تبرز أهمية وضرورة إصلاح المنظومة التعليمية برمتها، بدءاً من البنى التحتية والمناهج الدراسية وصولاً إلى أساليب التدريس وطرق التقويم، وذلك من أجل سد الفجوة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل، وكذلك بناء مدرسة حديثة وفاعلة (زاهر، 2021).

3- تحديد أهمية دور المعلم في الإصلاح التربوي:

يُعدّ المعلم العنصر الأساس والمحوري في نجاح أي مشروع تربوي إصلاحي، باعتباره القائد الفعلي للعملية التعليمية داخل حجرة الدراسة. وقد أكدت دراسة نشرت مؤخراً في مجلة العلوم التربوية (السعدي، 2021)، أن نسبة نجاح الإصلاحات التربوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى استعداد المعلم وتفاعله معها.

وتتبع أهمية دور المعلم من كونه الميسر والموجه للعملية التعليمية، وهو من يتولى تنفيذ المناهج الجديدة أو المطورة وترجمة أهدافها إلى واقع داخل الفصول الدراسية (الموسى والمبارك، 2005). كما أنه يمتلك القدرة على ابتكار أساليب تدريس حديثة ومبتكرة، والاستفادة من التقنيات التربوية المساندة، بما يخدم روح المناهج المطورة وأهدافها الإصلاحية

لذا يجب إشراك المعلمين بفاعلية في مشاريع الإصلاح التربوي، وتزويدهم بالتدريبات والدورات اللازمة لتنفيذ مهامهم على أكمل وجه.

4- مفهومي البيداغوجيا والأيدولوجيا:

4-1 البيداغوجيا:

تُعرّف البيداغوجيا بأنها علم طرائق التدريس، إذ تشمل مجموعة النظريات والاستراتيجيات المتعلقة بكيفية نقل المعرفة للمتعلم وبناء شخصيته بفاعلية (الحيلة، 2020). وترتكز البيداغوجيا على فهم طبيعة عمليتي التعلم والتعليم، وتحديد الظروف المثلى لحدوثهما، ثم وضع الطرق العملية لتطبيق ذلك.

كما تضم مجالات البيداغوجيا التخطيط للمناهج الدراسية بما يتناسب مع حاجات المتعلمين وقدراتهم، وكذلك طرق تقويم نتائج التعلم للتأكد من تحقق الأهداف المرجوة (النجدي، 2018)

ويرى "بركات" انها مجموعة المبادئ والأفكار والنظريات المتعلقة بعمليتي التعلم والتعليم (بركات، 2018). فهي تدرس الطرق التربوية المثلى لتوصيل المعرفة للمتعلمين وبناء شخصياتهم وتنمية قدراتهم وميولهم واستعداداتهم. كما تتضمن البيداغوجيا وسائل تقويم نتائج العملية التعليمية وقياس مدى تحقق الأهداف.

2-4 الأيديولوجيا:

تشير الأيديولوجيا إلى مجموعة من الأفكار والقيم والمبادئ التي يؤمن بها الإنسان وتوجه سلوكه وتصرفاته. وتتمثل الأيديولوجيا التربوية في تلك القيم والاتجاهات التي يحملها القائمون على النظام التعليمي حول الطرق المثلى لنقل وبناء المعرفة لدى المتعلمين (حنفي، 2019).

وهي مجموع الأفكار والمبادئ والقيم التي تشكّل الفكر أو الوجدان عند الإنسان (سلامة، 2012). وتتمثل الأيديولوجيا التربوية في تلك القيم

والمعتقدات التي يحملها القائمون على العملية التعليمية حول طبيعة المعرفة وكيفية اكتسابها ونقلها.

5- الإطار النظري والمفاهيمي:

5-1 الرؤى البيداغوجية حول دور المعلم:

- المدرسة التقليدية:

اتسم دور المعلم في هذه المدرسة بالسلطوية والتسلط، إذ كان يقوم بتلقين المعارف بشكل جامد دون مراعاة للفروق الفردية بين الطلبة. وركّزت البيداغوجيا آنذاك على الحفظ وتدريب الذاكرة وإتباع القواعد بحذافيرها من دون نقد أو تساؤل (أبو زيد، 2015).

- مدرسة المهارات:

جاءت كردة فعل على قصور المدرسة التقليدية، فأكدت على أهمية الجانب العملي واكتساب المتعلمين للمهارات اللازمة لسوق العمل. وتحول دور المعلم إلى مدرّب مهني يقوم بتدريب الطلبة على مهارات بعينها بالطرق المناسبة.

- المدرسة البنائية:

دعت إلى بناء التلميذ لمعارفه بنفسه من خلال أسلوب استقصائي وأنشطة عملية بتوجيه من المعلم، بحيث تصبح عملية التعلم ذات معنى لديه.

5-2 الأيديولوجيات التربوية:

- الأيديولوجيات التقليدية:

اعتبرت المعلم ملقناً للحقائق والمفاهيم الجاهزة، وركّزت على غرس القيم الاجتماعية وثقافة الطاعة والانضباط، من دون أي نقاش أو تساؤل من قبل المتعلمين.

- الأيديولوجيات الحديثة:

ركّزت على الجوانب التطبيقية والنقدية والإبداعية في التعليم، مما أدى إلى تحول دور المعلم إلى ميسر وموجه ومدرب ينمي المهارات الحياتية اللازمة، ويشجع على التفكير الناقد بعيداً عن الجمود.

6- ربط الجانبين النظري والتطبيقي:

إن إصلاح التعليم والمدرسة لا يمكن أن يتم بمعزل عن الممارسات الصفية الفعلية، إذ من الضروري ترجمة الأفكار والمبادئ النظرية الإصلاحية إلى واقع ملموس داخل الغرفة الصفية من خلال التفاعل بين المعلم والمتعلم.

وهنا يأتي دور المعلم كحلقة الوصل بين النظرية التربوية وتطبيقها العملي، من خلال امتلاكه للقدرة على ترجمة متطلبات المناهج المطورة أو الأساليب التدريسية الحديثة إلى واقع عملي داخل الغرفة الصفية يسهم في تحقيق الأهداف الإصلاحية المنشودة.

ولذلك يجب الاهتمام بتأهيل المعلمين وتزويدهم بالمهارات اللازمة لفهم الأسس النظرية والفكرية للإصلاحات التربوية، ومن ثم تطبيقها بكفاءة في تعاملهم اليومي مع الطلبة داخل الصفوف الدراسية.

يُعدّ المعلم هو العنصر الحاسم والمحوري في إحداث التغيير المنشود داخل المدرسة، كونه المسؤول عن تنفيذ الإصلاحات التربوية عملياً من خلال تفاعله المباشر مع الطلبة في حجرة الدراسة.

وبالتالي، من الضروري تبني رؤية بيداغوجية حديثة حول دور المعلم، بحيث يصبح قادراً على استيعاب متطلبات الإصلاحات الجديدة وترجمتها لواقع عملي داخل غرفة الصف. كما ينبغي أن تتماشى الأيديولوجيات التربوية مع هذا الدور الجديد، بما يمكن المعلم من أداء مهامه الإصلاحية على الوجه الأمثل.

7- كيفية إحداث التغيير المنشود من خلال دور المعلم:

إن التغيير الحقيقي في أي منظومة تعليمية لا بد وأن يبدأ من داخل الصف (جروان، 2010). والمعلم هو مفتاح هذا التغيير والعنصر الفاعل في ترجمة الأفكار والمبادئ الإصلاحية إلى واقع ملموس عبر تفاعله المباشر مع المتعلمين.

وقد أظهرت العديد من الدراسات أن أهم عوامل نجاح الإصلاحات التربوية تتمثل في مدى اقتناع المعلمين بأهدافها ومبادئها، وحماسهم لتطبيقها عملياً (الحيلة، 2017).

لذا فمن الضروري تبني المنظومة التعليمية لرؤية بيداغوجية تضع المعلم في صلب عملية التغيير، وتمنحه الصلاحيات والمهارات الكافية لقيادة هذا التحول النوعي نحو مستقبل أفضل.

ويمكن إحداث التغيير المنشود من خلال دور المعلم بالطرق التالية:

7-1 تبني المعلم لأساليب واستراتيجيات تدريس حديثة ومتنوعة:

حيث يمكن للمعلم استخدام طرق تعليمية مبتكرة تركز على التلميذ وتنمي مهاراته المختلفة، مثل التعلم النشط والتعلم القائم على مشروعات وحل المشكلات.

2-7 توظيف التقنيات التربوية الحديثة داخل الصف:

يمكن للمعلم الاستفادة من تقنيات مثل الوسائط المتعددة والسيرورات الذكية والواقع الافتراضي لخلق بيئة تفاعلية جاذبة للمتعلمين.

3-7 تبني أساليب تقويم بديلة ومتنوعة:

من خلال استخدام أدوات التقويم البديل مثل الملاحظة والمشاريع وتقويم الأقران والتقويم الذاتي، بدلاً من الاختبارات التقليدية.

وهكذا يمكن المعلم من إحداث نقلة نوعية في العملية التعليمية تجسد التغيير المنشود نحو مدرسة أكثر تقدماً وفاعلية.

8. بعض الأمثلة على التجارب الإصلاحية الناجحة التي ركزت على دور المعلم وتغييره:

1.8 تجربة فنلندا:

قامت فنلندا في سبعينيات القرن الماضي بإصلاحات شملت تحسين برامج إعداد المعلمين ورفع مكانتهم المهنية وتدريبهم باستمرار على أحدث الاستراتيجيات التدريسية. وقد ساهم ذلك في تطوير العملية التعليمية وتحسين مستوى الطلبة (الدوسري، 2019).

2.8 تجربة سنغافورة:

وضعت سنغافورة معايير عالية لاختيار المعلمين وتدريبهم، كما ربطت أداءهم بنظام حوافز مادية ومعنوية. مما ساهم في جذب الكفاءات وتقاني المعلمين في أداء مهامهم (اليامي، 2017).

3.8. تجربة كندا:

اعتمدت كندا على إشراك المعلمين بفاعلية في تطوير المناهج الدراسية ووضع الرؤى التربوية من خلال "هيئة مشاركة المعلمين"، مما زاد من حماسهم للمساهمة في الإصلاح وتبني أفكاره (زيدان، 2020).

4.8. تجربة بريطانيا:

ركزت على التطوير المهني المستمر للمعلمين من خلال دورات تدريبية مكثفة لمواكبة المستجدات التربوية، مع توفير بيئة إيجابية داعمة للإبداع والابتكار داخل المدارس (النجدي، 2018).

5.8. تجربة اليابان:

اهتمت بالتدريب المستمر للمعلمين وتشجيعهم على البحث والابتكار التربوي، فضلاً عن إتاحة الفرصة لهم لقضاء فترة تدريبية في الشركات والمصانع لاكتساب خبرات واقعية (الشمري، 2016).

6.8. تجربة السويد:

ركزت على إعداد المعلمين إعداداً عالي الجودة من خلال برامج أكاديمية مكثفة، وإشراكهم بفاعلية في صنع القرارات التربوية على مستوى المدرسة (آل سعود، 2012).

8- خاتمة:

إن الأستاذ هو أحد العناصر المهمة والأساسية في المنظومة التعليمية، ولا يمكن أن تنجح أي عملية إصلاحية من دون إشراكه في كل مراحل الإصلاح المراد تطبيقه على الساحة التربوية. وهذا ما لمسناه من خلال هاته الدراسة التي بينت وجود علاقة وثيقة بين مدى تفاعل المعلمين مع مشاريع الإصلاح وبين نسب نجاح تلك المشاريع وتحقيق أهدافها. كما وضحت أن أهم عوامل النجاح لأي إصلاح تربوي هي امتلاك المعلمين للمهارات والكفاءات اللازمة وحماستهم لتنفيذه عملياً.

9- التوصيات:

- ضرورة إشراك المعلمين في وضع السياسات والرؤى الإصلاحية وتصميم المناهج.
- تدريب المعلمين وتأهيلهم باستمرار لامتلاك مهارات تنفيذ الإصلاحات الجديدة.
- تهيئة المناخ المناسب داخل المدارس لدعم الإبداع والابتكار لدى المعلمين.

- قائمة المراجع:

- 1 أبو زيد، فايز (2015). "البيداغوجيا النقدية والتغيير الاجتماعي
- 2 بركات، زياد. (2018). مبادئ البيداغوجيا الحديثة. عالم الكتب الحديث.
- 3 جروان، فتحي (2010). التعليم من أجل التغيير. دار الكتاب الجامعي .

- 4 حنفي، عبدالغني. (2019). الأيديولوجيا التربوية. مركز الكتاب الحديث.
- 5 الحيلة، محمد (2017). المعلم والإصلاح التربوي. مركز دراسات التربية
- 6 الحيلة، محمد. (2020). مبادئ البيداغوجيا. دار المسيرة .
- 7 الخليفة، خالد. (2016). إصلاح التعليم ضرورة ملحة. مكتبة الرشد.
- 8 الدليمي، طه. (2016). إشكاليات تربوية معاصرة. عالم المعرفة.
- 9 الدوسري، خالد (2019)؛ اليامي، ماجد. (2017)
- 10 زاهر، أحمد. (2021). نحو مدرسة فاعلة. دار الفكر .
- 11 السعدي، خالد. (2021). دور المعلم في نجاح الإصلاح التربوي. مجلة العلوم التربوية.
- 12 سلامة، عادل. (2012). مقدمة في الأيديولوجيا. دار الثقافة.
- 13 صلاح، محمد. (2019). إشكاليات التعليم في الوطن العربي. دار النهضة العربية.
- 14 كرامة، أحمد. (2017). أساليب التدريس الحديثة. دار الكتاب التربوي .
- 15 الموسى، عبدالله والمبارك، أحمد. (2005). التعليم في الوطن العربي. دار الفكر العربي
- 16 النجدي، علي. (2018). علم البيداغوجيا. دار الشروق .

17 اليونسكو. (2018). تقرير حالة التعليم في الوطن العربي. منشورات اليونسكو.